الفصل السادس

سنة داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فى التوبة

نظرة على قصة داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

داود من سلالة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل، أنعم الله بكثير من النعم عليه - فضلًا منه ورضوانًا - فكان يسبح، فتسبح معه الجبال والطير، وهذا من تسخير الله المخلوقات للبشر، وأعطاه الله القوة، وعلمه صناعة يتكسب منها، وأعطاه قدرة على ذلك، فكان يصنع الدروع من الحديد، وكان يأكل من عمل يده.

وكانت صلاته أحب الصلاة إلى الله تعالى، وصيامه أحب الصيام إلى الله تعالى، فقد أخبرنا الرسول محمد ﷺ، أنه كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه. وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا. وآتاه الله الزبور، وهو الكتاب الذى أنزله عليه، وعلمه من آياته وحكمه، فكان عنده الحكم النافذ، والفصل فى الأمور، وحسن الحكم بين الناس، وآتاه الله الملك، فجمع له الله - عز وجل - بين الملك والنبوة، وخيرى الدنيا والآخرة.

وأخبرنا الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾[البقرة].

فانتصار داود على جالوت قوة وقدرة وفضل، أعطاه الله له، وهو ما جعل له مكانة وفضلًا فى قومه، فأصبح ملكًا عليهم وحكمًا عادلًا، ولكن الله تعالى الذى يصطفى رسله من بين البشر ويصنعهم على عينه، وهذا الملك والحكم وفصل الخطاب، لم يمنع النبى من الخروج عن طبيعته البشرية والإنسانية، من تسرع ووقوع فى خلاف الأوْلى، فكان الاختبار لكبير الحكام والقضاة، فلا محل للاغترار وفرط الثقة والتسرع على أى حال من الأحوال، وأى درجة من العلم والحكمة.

فأرسل الله – عز وجل – ملكين يختصمان، فدخلا عليه وقت عبادته فى المحراب، ودخلا من السور؛ مما أدخل الخوف فى قلب النبى، وطلبا منه أن يحكم بينهما بالعدل، فأشار أحدهما إلى أخيه، واتهمه بأنه يملك تسعًا وتسعين نعجة، وأنه لا يملك إلا واحدة، فأراد أخوه أن يأخذها منه. وقبل أن يسمع داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من الآخر، وقبل أن يتأكد فأسرع بالحكم على من لم يتكلم أو يعرض مظلمته، فحكم عليه بالظلم لأخيه، ولكنه بنعمة من ربه أدرك أنه فتن، وأن ذلك يُعد اختبارًا من ربه، فاستغفر ربه وخر راكعًا، راجعًا إلى ربه، طالبًا عفوه ومغفرته، فغفر الله له ذلك.

فكان قدوة لكل ولاة الأمور والحكام والقضاة، بأن يحكموا بين الناس بالعدل والحق، ولا يتبعوا أهواءهم؛ حتى لا يلقوا العذاب الشديد يوم الحساب.

الآية التى سننطلق منها لاتباع سنة داود فى التوبة:

قال تعالى فى سورة ص: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[ص:٢٦]. لدراسة اتباع الهوى ومعرفة أسباب ارتكاب الذنوب.

***

اتباع الهوى من أسباب الوقوع فى الذنب:

قال تعالى فى سورة ص: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦﴾ [ص].

الهوى: هو ميل النفس إلى الشىء، خيرًا كان أو شرًّا، أو هو ميل النفس إلى الشهوة.

أنعم الله تعالى على سيدنا داود بكثير من النعم التى لم ينعم بها على أحد قبله ولا بعده من الناس، ولا من الأنبياء والمرسلين، فقد فضل الله تعالى الأنبياء بعضهم على بعضهم؛ فمنهم من كلم الله تكليمًا مثل موسى، ومنهم آتاه الكتاب والحكم والنبوة، وقد آتى داود الزبور، وهو الكتاب المقدس الذى أنزله الله عليه، فعلمه فيه كيف يدعو الناس إلى الحق، وكيف يقوم برسالته كما يحب الله ويرضى، فأمره الله – عز وجل – بأن يحكم بين الناس بالعدل وعلمه كيف يكون ذلك، وما هى الفتن التى يقع فيها صاحب هذه الرسالة، فوقع تحت اختبار وتدريب؛ لعله يتذكر النعم والآيات.

ويبين الله له كيف يحذر اتباع الهوى، وما هو نتيجة ذلك وخطورته على هذه الرسالة والوظيفة، فهما لا يجتمعان ولا يصحان معًا الحكم بالحق واتباع الهوى.

أحب داود عبادة الله، وجعل له وقتًا من اليوم ليتعبد فيه ويترك وظيفة الحكم بين الناس، فأغلق عليه المحراب ليصفو فى عبادته، فإذا بالخصمين يأتيان فى وقت غير مناسب، ولكنه لم يعطِ للوظيفة حقها من الوقت والجهد والتمحيص، فوقع فى الفتنة، فلجأ إلى ربه مسرعًا، طالبًا للمغفرة والعفو. تذكر داود الآيات والنعم، فكان شرط الحكم بين الناس، هو الحق وعدم اتباع الهوى.

ويعلمنا قرآن ربنا نعمة منه وفضلًا على المسلمين، كيف يدخل هذا المرض إلى قلب الإنسان، وأين يوجد، فبصرنا به؛ لنتوقاه ونحذره، فلا نقع فيه، ولا ننحاز إليه.

فهذه مدارس الأنبياء وسيرتهم، وهذه آيات الله فى القرآن الكريم، تقرن بين الهوى، وتشرح صفات أو حالات يكون عليها الإنسان، فتكون علامة لاتباع الهوى، وهى:

١ - عدم العدل واتباع الهوى:

يقول الله تعالى فى سورة النساء: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟﴾ [النساء:١٣٥]، فإذا كانت مدرسة داود فى التوبة تعلم المسلمة شروط الحكم بين الناس، وهو العدل أو عدم الظلم، وعدم اتباع الهوى، فإن هذه الشروط واجبة أيضًا فى ظروف الحياة العادية، وليس خاصة بوظيفة معينة، وإن اختلفت أهميتها وخطورتها من وظيفة إلى أخرى، ومن حال إلى حال.

فإذا كان هناك نهى صريح بعدم اتباع الهوى، فهناك أمر صريح بالعدل بين الناس.

فربما تقول بعض الفتيات: إن هذه النصيحة والآيات لينتفع بها الرجال والحكام والقضاة، أما نحن فلا نقع فى مثل هذه الظروف، ولا نحتاج لمثل هذه الدروس. ولكن الواقع أن طبيعة الحياة والعلاقات الاجتماعية بين الناس، وطبيعة الإناث من حيث حب الحديث، والثرثرة وكثرة الكلام فيما يفيد وفيما لا يفيد، ودخول وسائل اتصال حديثة؛ من تلفون جوال وإنترنت - جعلت هذه الظروف وغيرها الحكم بين الناس فى كثير من الأمر، أمرًا سهلًا بين الناس سريعًا، ودون إحساس أو تأنيب لضمير.

فكم من الفتيات اللاتى يتحدثن فى التليفون عن أخوات لهن أو زميلات أو جيران أو أمهاتهن أو آبائهن أو غير ذلك، فتأخذ فى سرد القصة التى هى طرف فيها، والآخر غير حاضر وغير سامع.

ما الذى نتوقعه من السامع أو السامعة؟ هل السكوت؟! ما أكثر ما تبدأ السامعة فى إعطاء الحكم السريع على الغائب بالظلم والخطأ فى حق متحدثتها. فيطول الحديث، ويبدأ فى الدعاء على الظالم، وترتيب كيفية التعامل معه، وكيفية عقابه جزاء فعلته.

أليس حديث الزوجات مع أمهاتهن بقريب، ألم تقع العديد من الزوجات فى حياة تعسة مع زوجها جراء هذه الأحكام والمتبعة بالنصائح الهادمة !

ألم تفقد الأخوات علاقتهن الطيبة مع أخواتها فى الله؛ نتيجة أحكام مثل هذه !

ألم تفسد العلاقة بين أفراد الأسرة الواحدة عندما يتسرع رب البيت بإعطاء الحكم السريع بين الأولاد، بمجرد سماع شكوى واحدة منهم! فتأتى الأم بالضرب والشتم والحكم

على أحد أولادها دون السماع منه، أو إحكام العدل بين أولادها؛ فتسوء العلاقة بين الأولاد، وتسوء صورة الذات للمظلوم المحكوم عليه، وربما تتطور الأمور إلى أسوأ؛ فيزداد الظالم ظلمًا، أو ينقلب المظلوم إلى ظالم؛ للدفاع عن النفس.

المقصود أن الخسارة واقعة على الجميع؛ الظالم والمظلوم والحاكم بينهما، وهى خسارة طويلة الأجل فى الدنيا والآخرة.

ولنتذكر حديث الرسول محمد ﷺ: **«إن القضاة ثلاثة؛ قاضٍ فى الجنة، وقاضيان فى النار، قاضٍ عرف الحق فقضى به فهو فى الجنة، وقاضٍ عرف الحق فجار متعمدًا فهو فى النار، وقاضٍ قضى بغير علم فهو فى النار»**. قالوا: فما ذنب الذى يجهل؟ قال: **«ذنبه ألا يكون قاضيًا حتى يعلم»** [رواه أبو دود] (١).

وضع لنا هذا الحديث أهم شرط من شروط الحكم، وهو العلم، وتعطى لنا مدرسة داود فى التوبة باقى الشروط، وهى:

- اختيار الوقت المناسب للحكم فى الأمور، فلا يتم فى وقت الشغل بقضاء واجبات مهمة أو عاجلة.

- أن يعطى الوقت المناسب للحكم فى الأمور، فلا يتم على عجلة من الأمر ويحذر التسرع.

- أن يستمع من المدعى والمدعى عليه أو من الطرفين؛ إما أن يكونا حاضرين معًا أو ينتظر لحضور الطرف الغائب.

- ليست هناك قوالب جامدة ثابتة للحكم بين الناس؛ لاختلاف الظروف والأعراف والأحوال، وإلا أصبحت المهمة ميكانيكية آلية يمكن أن يقوم بها الحاسب الآلى.

- استشعار معية الله والخوف منه، وهى وقاية من الحكم الجائر أو اتباع الهوى، للحاكم والمدعى والمدعى عليه؛ فقد يكون أحدهم ألحن بحجته من الآخر، فيحكم بذلك الحاكم ظلمًا.

فلتنتبه الأخوات لهذه الشروط والضوابط ولنتذكرها جيدًا، وهى فى هذه المواقف:

- أخت تطلب من أخت لها النصيحة، وإصدار قرار بشأن صديقتها أو أمها أو زوجها أو جارتها، أو أى طرف تتعامل معه.

---

(١) أبو داود فى الأقضية (٣٥٧٣)، والترمذى فى الأحكام (١٣٢٢)، وابن ماجه فى الأحكام (٢٣١٥)، وصححه الشيخ الألبانى.

- أخت يُطلب منها إصدار حكم فى أمور معينة، أو خصومة بين أختين، أو أى طرفين.

- أخت دائمة الشكوى والإحساس بالظلم الواقع عليها، ولا تنظر إلى المشكلات على أنها مسببة لها، ولكن هى الضحية.

- أخت تحب أن ترضى صديقتها وتجاريها فى الحديث؛ لقضاء الوقت، أو لإظهار قدرتها على العلم والحكم فى الأمور.

ولكن إذا كانت مثل هذه الأمور كثيرة، وأصبحت عادة لدى الكثيرات فى البيت، فى الجامعة، فى المدرسة، فى أماكن اللهو، فى أماكن العبادة صباحًا ومساء، فهل تبدأ الأخت بنفسها؟ أم الحل عند غيرها؟ أم تلجأ إلى ربها؟

إن مثل هذا الذنب لا يتعلق بعلاقة العبد بربه فقط، ولكنه متعدد الأطراف، والظلم وقع على النفس والغير؛ لذلك فالطريق متعدد الاتجاهات، والعمل متشعب الأدوار.

فالبداية مع النفس، بالإقلاع عن هذا العمل، ومجاهدتها فى كل الأحوال، بعدم الخوض فى هذه المعصية، سواء بالحكم على الناس أو بالشكوى منهم، ثم الندم وتأنيب النفس على هذا العمل، والعزم على عدم الرجوع إليه، وكثرة الاستغفار، وطلب العفو من الله سبحانه وتعالى، سرًّا وعلنًا، وأثناء الوجود فى مثل هذه الظروف، أما ما بين الأخت وما وقع عليه الظلم، فلا يكفى ما سبق، ولكن لابد من رد مظلمته بحسب ما وقع عليه من الظلم والاستقامة فى ذلك بالله والدعاء وحسن النية والإخلاص والتوبة النصوح والتزود فى العبادات بالقراءة للقرآن الكريم والصلاة والصدقة والصيام، والله المستعان.

٢- عدم الاستقامة واتباع الهوى:

يقول الله تعالى فى سورة الشورى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ﴾ [الشورى:١٥] .. الاستقامة على طاعة الله والامتثال لأوامره، هى الواقية من الوقوع فى اتباع الهوى، وهى تلى الإيمان بالله، ولها ثمارها فى الدنيا والآخرة، يقول الله تبارك وتعالى فى سورة هود: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾ [هود:١١٢]، وفى سورة فصلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢﴾ [فُصِّلَت].

وفى سورة الأحقاف: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الأحقاف]، وعندما سأل رجل رسول الله محمدا ﷺ عن قول فى الإسلام لا يسأل عنه أحدًا غيره، قال ﷺ: **«قل: آمنت بالله ثم استقم»** [رواه مسلم][1].

فهذه الآيات والحديث ترسم صورة الاستقامة المطلوبة من المسلم، فهى لا تأتى من فراغ، ولكنها إيمان وعمل، وهو ما يعطيها قوة مجاهدة النفس والمناعة النفسية لعدم اتباع الهوى، فإذا خرج المسلم عن دائرة الإيمان والعمل به، لا يجد نفسه إلا فى دائرة اتباع الهوى.

إذن، فعلاج الهجمة الشرسة لمتع الدنيا التى أصبحت تحيط بالفرد فى كل مكان وكل وقت، وما يصاحبها من وسوسة الشيطان ونزغه، وكثرة الكماليات التى لا تغنى ولا تسمن من جوع، وإغواء أصحاب الهوى لغيرهم لاتباع سبيلهم، الطريق الوحيد لتقوية مناعة المسلم هنا هو الاستقامة، ولزوم طاعة الله تعالى، والبحث فى كتابه وسنة رسوله عما أمرنا به، وما نهينا عنه لتستقيم أمور حياتنا؛ لنفوز بالأمن فى الدنيا، والسلامة والجنة فى الآخرة بإذن الله.

إذن فواجبات الأخت المسلمة هنا تدور حول هذه الأمور:

- إصلاح وتصليح حالها لإعادة استقامة طريقها مع الله، وهنا البدء بالنفس وإصلاح حالها مع الله.

- البعد - بقدر الإمان - عن أماكن الهوى، وما أكثرها الآن، وهى تتسع لتشمل أماكن اللهو ودور السينما والمسارح والنوادى الفاضحة، والمسماة الدسكو، أو نوادى الرقص والعُرى، كما تشمل الأماكن بعض المواقع الفاضحة على الإنترنت، والتى لا يرضى عنها الله، والتى تثير غرائز الإنسان الحيوانية، بعرضها للصور الثابتة والمتحركة والصوت والرسوم والألوان، وكلها عناصر جذب ومؤثرة، لمن أراد أن يدخلها، ويحرق بنارها فى الدنيا والآخرة، وتشمل الأماكن محطات التلفزيون التى تحمل مضمونًا وصورًا ولقطات غير لائقة للمسلمة أن تشاهدها، وهى كثيرة الآن مع انتشار المحطات الفضائية، وهمها وشغلها هو الهوى، لا تكتفى بالمضمون المستتر، ولكنه واضح شكلًا ومضمونًا وعنوانًا، فتسمى البرامج (بالهوى هوانا)، وتسمى المحطات (على الهوا سوا).

---

(١) مسلم فى الإيمان (٣٨/٦٢).

– البعد – بقدر الإمكان – عن البنات الهوائيات اللاتى يتبعن أهواءهن؛ فهن من العوائق الأساسية للاستقامة، فتخرج الأخت من استقامتها، وتنسيها بر أبويها، وطاعة الله ورسوله أمام فتن الدنيا؛ من ملابس، ومنتزهات، وأحاديث لغو، ودعوات على موائد طعام عامة، فإذا بالمناعة النفسية للأخت تقل رويدًا رويدًا، إلى أن تخرج من دائرة الاستقامة دون أن تحس، فإذا رجعت كان صعبًا عليها؛ لما تجده من مرارة العلاج والدواء.

ولا تعنى هذه النقطة العزلة والبعد عن المجتمع، إذا كان معظمه من هذه النوبة الهوائية، ولكنه يعنى عدم المصاحبة، أو اتباع طريقهن، أو الانحراف عن الطريق المستقيم التى ارتضته لنفسها الأخت المسلمة بعد أن آمنت بالله، ورسمت لنفسها طريق الاستقامة، وأصبح هواها هو العدو الأول لها.

– تنظيم الوقت بدقة، والالتزام بهذا التنظيم فى ملء اليوم بالأعمال الصالحة، وأن يكون كل يوم تطويرًا وزيادة لما قبله، وإعدادًا لما بعده، فلا يصبح للأخت وقت تقضيه فيما نهى الله عنه.

– الاهتمام بعنصر التوازن فى حياة الأخت؛ حتى لا تدع هواها يتحكم فى أمورها، فتقبل على ما تحب وتهوى، وتحجم عما لا تحب وتهوى، فيحدث التوتر والقصور، ومثال على ذلك: الطالبة التى تذاكر ما تحب وتترك ما لا تحب، فتأتى النتيجة انعكاسًا لهذا السلوك.

والأخت فى المنزل تحب التنظيم، ولا تحب المطبخ أو الطبخ، وهى مسئولة عن الاثنين، فتقضى يومها كله فى التنظيم وتترك الطبخ، فيأتى إخوتها أو أولادها فلا يجدوا ما يأكلون وتحدث المشكلة، والفتاة تحب أن تجلس مع إحدى صديقاتها فى الجلسة الجماعية أو اللقاء الجماعى، وتترك باقى صديقاتها، فإذا بها تفقد حبهن واحترامهن لها، وتدخل فى دائرة من الظن وسوء الحديث، ويجرها ذلك إلى ما لا يحمد عقباه.

٢ - تزيين العمل للنفس واتباع الهوى:

يقول الله تعالى فى سورة محمد: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴿١٤﴾﴾ [محمد].

يقارن الله بين نوعين من البشر: أحدهما:كان على يقين وعلم وبينة، واستقام على ذلك، والثانى: زين له سوء عمله، وذلك سواء من الناس أو من نفسه أو من الشيطان، فإذا كان صاحب مركز أو ملك، زين الناس حوله له أعماله، ولو كانت سيئة، وإذا كان صاحب سوء،

زين لصاحبه سوء عمله، وأقنعه أنه على حق وعلم ومعرفه، وما سواهما على الباطل والجهل، وينبئنا الله – عز وجل – بالأخسرين أعمالًا فى سورة الكهف: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف]، فسوء تقدير الأمور واضح لمن اتبع هواه وعاقبته فى الدنيا والآخرة؛ فربما يكون هناك نوع من المنفعة الظاهرة المؤقتة – كمنصب أو صيت – يحصل عليه الفرد، أو زيادة فى المال، أو حصوله على مسكن أو مركبة هنيئة، أو غير ذلك من المتاع الزائل، إلا أن السعادة فى الدنيا والآخرة لا تحسب بالظاهر فقط، فكم من غنى بائس فقير النفس والأخلاق، وكم من حاكم محكوم عليه بالخوف والرعب، لا يستطيع حتى السير بمفرده؛ جزاء بما صنع وظلم الناس وأخذ حقوقهم، فلا يستطيع أن يرى الناس إلا فى الحجرات المغلقة، وكم من الزوجات زين لها سوء عملها، فظلمت أولادها وزوجها، فجلبت التعاسة والشقاء على نفسها وبيتها، وكم من الفيتات حسبت أنها تحسن صنعًا، فخسرت أعمالها.

ويعلمنا القرآن الكريم أن هذا العمل لابد أن يصاحبه اتباع الهوى، وهو ما يعنى توالى الخسائر والأخطاء، والبعد عن اتباع الطريق المستقيم.

فإذا وجدت الأخت فى نفسها شيئًا من هذا، فلتبدأ سريعًا بالتصحيح، وربما تنفع النقاط التالية:

– لا تقوم الأخت بتقدير الأمور من منظورها الشخصى؛ فقدرتها العقلية محدودة، وثقافتها قليلة، وخبرتها فى الحياة بسيطة.

– توسع دائرة علاقتها مع الصحبة الطيبة، وهى لها أماكنها الطاهرة الطيبة، ولها منشأها الصالح وعلاقتها المتزنة، والتى لا يشوبها الرذائل أو النقص والتقصير، فلا تستشير من هى أقل منها علمًا أو خبرة أو التزامًا بالدين، ولا تستشير من هى فى صراعات دائمة مع أهلها أو أقرانها، فمثل هذه الشخصية غالبًا ما تكون مشغولة ومهمومة بحياتها البائسة، وتنظر إلى الحياة بمنظار أسود، فترى كل شىء سيئًا، وكل الناس يكذب ويسرق ولا تأمن أحدًا.

– أن تقتنع أن الخطأ والنسيان من صفات البشر، فلا يعيب أن تخطئ ما دامت تصحح خطأها فور معرفتها، فتتداركه وتصحح مسارها.

– أن تقلل دائمًا من قيمة ما تقوم به من أعمال؛ لأن كل جميل له أجمل منه، والكمال لله

وحده. فليس هناك الحل الوحيد فى كل وقت، وفى كل مكان، وفى كل الظروف؛ فكثير من الناس يرى أن رأيه أو طريقته هى الحل الأمثل والأوحد والأفضل لكل الناس.

– أن تتزود دائمًا بتقوى الله؛ فخير الزاد التقوى، فما هو جميل من وجهة نظرها قد يكون غير ذلك عند الله تعالى، فتلجأ إلى الله دائمًا بالدعاء، بأن يديم الله عليها نعمه وفضله، وأن يسدد خطاها، وأن يهديها لما يحب ويرضى.

– أن تكون فى تطور مستمر مع نفسها ومع الناس ومع الله، فمن يتبع هواه، ويزين له سوء عمله، يريد أن يبقى على حاله، فلماذا يغيرها؟! فهى أفضل شىء من وجهة نظره.

أما المسلمة فلا يجب أن تكون على هذه الحالة، فالقيم والخير فى نفسها له درجات تعلو وتسمو فى الإسلام، ولا حدود للفضائل، فلا يكفى أن تكونى كريمة؛ فهناك الجود ولا يكفى أن تكونى جوادة بالخير، فهناك الإيثار، وعلى ذلك تبدأ فى تقييم نفسها وتطويرها.

ومع الناس لا يكفى أن تكفيهم شرك، ولكن أن يعم خيرك على الأقربين، ولا تكتفى بالأقربين، بل يعم على الجيران، ولا يكفى أن يعم خيرك على الأقربين والجيران، ولكن على الناس جميعًا، أو كل من تتعاملين معهم؛ فقد قال رسول الله محمد ﷺ: **«أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس»**[1].

فهذا الدين هو دين للعالمين، وخيره للناس جميعًا، يقول الله تعالى فى سورة الإسراء: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾[الإسراء].

– أن توسع ثقافتها وقراءتها واحتكاكها بالصالحين وأصحاب السير الطيبة؛ فقراءتها لسنة الرسول ﷺ والصحابة والتابعين وزوجاتهم والأخوات المسلمات، سيضع أمامها أمثلة وقدوة، تستطيع أن تنير لها الطريق وتستزيد منها، فتخرج من نور إلى نور، ومن هداية إلى هداية، والله نور السموات والأرض، وهو يهدى من يشاء.

٤ - الطبع على القلوب واتباع الهوى:

قال تعالى فى سورة محمد: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾﴾[محمد].

---

(١) الطبرانى فى الكبير (٣/٢٠٩)، والحديث أورده الشيخ الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٩٠٦)، وقال: «هذا إسناد حسن».

من يهده الله فما له من مضل، ومن يضلل فما له من هاد.

يختار الناس طريقهم فى الحياة الدنيا، فما عليهم إلا أن يسيروا فيه، إما الهداية فمن يهتدى فلنفسه، وإما الضلال، ومن يضل فعليها، وكل نفس لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت من الإثم والبغى، فيستمر الظالم ظالمًا لنفسه، فيأتى بالإثم على الإثم، إلى أن يطبع قلبه ظلمًا، فلا يرى نورًا ولا هداية، وهو جزاء لما اختار من طريق، ولما اتبع من أهواء.

يقول الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين] .. فهذه الآية توضح أن عمل الإنسان هو خير شاهد، وأفضل دليل على ما يكسبه فى الدنيا والآخرة، وأن ثمرة من يحجب قلبه عن نور الله فى الدنيا وهدايته، هى حرمانه من رؤية نور الله تعالى فى الآخرة، فهم محجوبون عن ربهم؛ جزاء بما كانوا يعملون.

وعلى الأخوات المسلمات مراعاة هذه النقاط:

- عدم استصغار الذنب؛ فلا صغيرة مع إصرار عليها، وكثرة الذنوب وتراكمها تجعل القلب مضغة سوداء مطمسة، لا يرى النور ولا يدخل إليه، فلو وضعت ستائر رقيقة فى غرفتك طبقات فوق بعضها، ألا تظلم هذه الستائر الحجرة، وتمنع دخول الضوء والشمس؟! فهذا مثال للدقائق من الذنوب، التى تأتى فوق بعضها، فتعمل عمل الكبائر.

- أن عدم قبول العلم، وعدم الإيمان بالآيات، وعدم تصديقها، يعتبر جزاءً وعقابًا لصاحبه عن سوء عمله، وكثرة ذنوبه، وتقصيره فى الأمور.

- ليس فى الإسلام غير طريقين؛ إما الإيمان وإما الكفر واتباع الهوى، كما أنه لا يجتمع العلم والجهل فى أمر من الأمور؛ فهما طريقان لا يلتقيان عند أى نقطة، ولا ينتهيان لمصير واحد، فمن اختار الهوى، فليس له فى الإيمان من نصيب.

ولكن هذا لا يعنى تحديد مصير الناس، وعدم القدرة على التوبة من الذنوب، ولكن الغرض هو أن من اختار هواه واتبعه، لا يستطيع أن يصمد ويستمر ويصدق فى إيمانه بالله والواحد القهار، إلا أن يستغفر ويتوب، ويترك طريق هواه؛ ليكمل إيمانه، ويثبت بأمر الله تبارك وتعالى.

فالفتاة التى تذهب إلى قاعات الدسكو؛ لتسهر وترقص مع الشباب بالليل، هل تستطيع أن تقوم لتصلى الفجر وتخشع فى صلاتها أمام ربها؟ فهل تجتمع الطاعة والمعصية، وهل يؤمن المؤمن ببعض كتاب الله ويكفر ببعض؟ هل يكفى للفتاة أن تصلى وتصوم وتقوم بباقى

الفرائض، ثم لا تبر والديها، وتظلم أخواتها وجيرانها؟ لقد كان مصير من تصوم وتصلى وتؤذى جيرانها أنها فى النار، فلم تجتمع الطاعة والمعصية، ولم يوصلا إلى هدف واحد، فأى الطريقين تختارين؟!

الأخت المسلمة دائمًا فى حالة حساب وتقييم ومحاسبة لنفسها ليس مساءً، وليس صباحًا؛ بل فى كل وقت؛ لسرعة تعديل الطريق واستقامته على الهدى، وهى دائمًا فى صراع مع هواها وحرب، فهو أشد من الأعداء، أقرب إليها من العدو الخارجى، إنه داخلها فكيف تنتصر عليه؟! معها زاد الذكر والدعاء والصحبة الطيبة، ونور الله الذى أنزله رحمة للعالمين هو القرآن الكريم، والذى عن طريقه تهتدى فى ظلمات الطريق، وتعدل به اعوجاجه، وتساوى به منعطفاته، فلا تنزلق قدمها فى هوٍ، ولا تسقط من علو.

- إنه من طبع على قلبه ليس أمامه إلا الرعاية المركزة، فهو يحتضر ولا ينفع معه علاج واحد، فيحتاج إلى نوع من العزلة التامة عن مصادر وأماكن الهوى، ومحاولة لاستعادة عمل جهازه المناعى مرة أخرى، فيقبل بشدة ويدبر بشدة، يقبل على الله بقلبه وعقله ونفسه، ويدبر بشدة عن هواه بكامل إرادته وعزيمته، ويحدد هدفًا واضحًا وطريقًا مستقيمًا قصيرًا، ويغلق جميع منافذ الهوى؛ من أصدقاء وكتب وتلفزيون ومسرح وسينما ونوادٍ وأماكن لهو وكمبيوتر وأغانٍ وملابس وأطعمة وأسلوب حياة كاملة .. أقصد منها كل ما لا يرضى عنه الله ورسوله، ويعرف ذلك ويقيمه من مصادر المناعة القوية من القرآن والسنة، فكلما عرف آية أو حديثًا قيم به عمله، فما كان يرضى الله ورسوله بقى عليه، وما كان غير ذلك امتنع عنه امتناعًا تامًّا، مخلصًا العمل لله تعالى.

٥ - عدم ذكر الله واتباع الهوى:

يقول الله تعالى فى سورة الكهف: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف].

أمر الله سبحانه وتعالى بعدم طاعة الغافلين عن ذكره؛ لأنهم متبعون لأهوائهم ومفرطون فى أمورهم، ولذلك فطاعتهم فى كل الأحوال مرفوضة، حتى إذا كان ظاهرها خيرًا، فالله أعلم ببواطن الأمور، وقد علم الله تعالى عباده فى القرآن الكريم كيف يكون الذكر ومتى ولماذا، فيقول عز وجل فى سورة البقرة: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة:٢٠٠]، ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾

[آل عمران:١٩١]، ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾[الأحزاب]، ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾[الأعراف]، وفى سورة النساء: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء:١٠٣]، وقال الرحمن: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[العنكبوت:٤٥].

فهذه الآيات تضع أمام الأخت المسلمة واجباتها العملية، والتى من خلالها تنتهى عما نهى الله عنه، وهو اتباع الهوى، ويمكن تصور هذه الواجبات فى النقاط التالية:

– المسلمة لا يجب أن تكون إمعة، فتسير وراء صديقاتها أينما ذهبوا فى الحياة، وأعنى بذلك طريقة حياتهن جميعها؛ من اختيار ملابس، وطريقة تحدث، واختيار كلمات الحديث، ونبرة الصوت، وشكل الوجه وحركاته أثناء الحديث، وحركة اليد أثناء الكلام، وطريقة المشى، وأسلوب التعامل مع الغير، ومع وسائل الإعلام والاتصال ومع الوالدين و... فيكون لديها قدرة على اختيار من تسير معهم ومن تختار.

وقد علمنا القرآن أن من علامة اتباع الهوى هو الإفراط فى الأمور، وهى تعنى الأمور بشكل واسع؛ كالتبذير فى المصاريف الشخصية، وضياع الوقت فيما لا يفيد؛ كالجلوس أمام الحاسب الآلى بالساعات، فهذا إفراط فى الأمور، وكثرة شراء الملابس، وكثرة الخروج والتنزه والفسح، وكثرة الحديث فيما لا يفيد، وتقيس على ذلك باقى طريقة الحياة.

ومن علامة اتباع الهوى التى أمرنا الله ألا نتبعها، البعد عن ذكر الله، فستجد الأخت المسلمة كثيرًا من البنات، أو من تتعامل معهم لا يذكرون الله إلا قليلًا، وربما لا يذكرونه طوال اليوم؛ فهم مشغولون بأهوائهم وأعمالهم، وهم الذين يحسبون أنهم يحسنون صنعًا.

– أن تذكر الله فى كل أحوالها وجميع أوقاتها، وتبدأ جميع أعمالها بذكر الله، وتنهيها بذكر الله، فيكون جميع أوقاتها وحياتها ذكرًا؛ فتفوز بمنزلة الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات، والذين أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار، ففازوا بالمغفرة، وفازوا بالنعيم المقيم.

– أن تتعلم صيغة الذكر التى علمها لنا الرسول محمد ﷺ، وهى كثيرة وسهلة والحمد لله، ونذكر منها:

* **«سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»**، وهما الثقيلتان فى الميزان[١]. ومن قال: **«سبحان الله وبحمده غرست له نخلة فى الجنة»**[٢].

* **«أحب الكلام إلى الله تعالى أربع: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر - لا يضرك بأيهن بدأت»**[٣].

* **«ما على الأرض رجل يقول: لا إله إلا الله والله أكبر، وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله، إلا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر»**[٤]، وقد قال عنهم الرسول محمد ﷺ: **«الباقيات الصالحات»**[٥].

* **«من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير، كل يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك»** [٦].

- أن تتعلم ذكر الله فى النفس؛ فهذا أفضل علاج لتقويمها وسرعة علاجها، فلا يُطلق لها العنان لتحب ما تحب وتكره ما تكره، ولكن تنظر ماذا يحب الله وماذا يكره، فيكون حالها على ذلك.

- أن تذكر الله دون الجهر من القول، فتتمكن من سماع صوتها دون أن تزعج غيرها بالصوت، ولكن من يراها يجدها من الذاكرات، فيكون دافعًا لغيرها بتذكر الذكر والاقتداء بها.

- أن تجعل صلاتها ونسكها وحياتها ومماتها لله رب العالمين، فالله معها فى كل وقت، فتحفظ عن الرسول محمد ﷺ أدعية الصباح والمساء والغدو والآصال، وأدعية الرسول ﷺ المأثورة فى كل الأحوال، منذ أن تستيقظ وإلى أن تنام، وعندما تقوم الليل أو تقلق أثناء النوم. ولها أن تستعين بكتاب المأثورات، إلى أن تحفظ منه ما يكفيها طوال اليوم ذكرًا.

---

(١) البخارى فى الدعوات (٦٤٠٦)، ومسلم فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٣١/٢٦٩٤).

(٢) الترمذى فى الدعوات (٣٤٦٤)، وقال: «حسن صحيح غريب».

(٣) فتح البارى (١١/٢١٠) عند شرح حديث (٦٤٠٨).

(٤) أحمد (٢/١٥٨)، وقال الشيخ أحمد شاكر (٦٤٧٩): «إسناده صحيح».

(٥) أحمد (١/٧١)، وقال الشيخ أحمد شاكر (٥١٣): «إسناده صحيح».

(٦) البخارى فى الدعوات (٦٤٠٣)، ومسلم فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٨/٢٦٩١).

٦- الظلم واتباع الهوى:

يقول الله تبارك وتعالى فى سورة الروم: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٢٩﴾ [الروم].

الظلم: هو وضع الشىء فى غير موضعه، ويعبر القرآن الكريم عن الظلم؛ للدلالة على عدم إعطاء النفس حقها، وعدم إعطاء الغير حقهم، وعدم إعطاء الخالق حقه فى العبادة، وهو الظلم الأكبر، وهو الشرك بالله. يقول الله تعالى فى سورة النمل: ﴿قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي﴾[النمل:٤٤]. وفى سورة النساء: ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا﴾ [النساء:٧٥]، وفى سورة لقمان: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾[لقمان].

والظلم صفة من صفات الإنسان وليس الخالق، يقول الله تعالى فى سورة النساء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ﴾[النساء:٤٠]، وفى سورة إبراهيم: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤﴾ [إبراهيم]، وبرحمة من الله ومغفرة يتوب الله تعالى على من تاب وأصلح، يقول تعالى فى سورة المائدة: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ﴾[المائدة:٣٩].

وللأخت المسلمة أن تبحث عن الأسباب التى توقعها أو توقع غيرها فى الظلم، وتقيم أعمالها إذا كانت قد وقعت فى الظلم لأى الأطراف الثلاثة [النفس والناس والله]، ثم تبدأ فى الاعتراف الصريح والندم.

ومن المواقف أو الأعمال التى تظلم فيها البنات نفسها:

- أن تجلس مع فتيات غير ملتزمات بأخلاق الإسلام، فيكثر الكذب والغيبة والنميمة، والحسد، وضياع الوقت باللغو فيما لا يفيد، فقد وضعت نفسها هنا فى غير الموضع اللائق بها.

- أن تصر على مواصلة الطريق مع أصدقاء الهوى؛ بحجة قيمة الصداقة، فيزين الشيطان لها ذلك بأنه إخلاص ووفاء للصديق، وهو فى الحقيقة بعد عن الحق، وانزلاق فى المهالك.

- أن تقوم بأعمال غير ذات أهمية، وتضيع أعمالًا مهمة، وواجبات ضرورية؛ فتصبح مقصرة فى حق نفسها، فتبدو كذلك فى نظر الآخرين، على الرغم من أنها تشغل وقتها فى العمل، ولكنها لم تقيم أهميته وضروريته، ولم ترتب أعمالها بالأهم، ثم المهم، ثم الأقل أهمية.

فمثلًا تقوم بزيارة صديقة مريضة، وتترك أمها مريضة فى البيت تحتاج إلى وجودها لتمريضها، أو لرعاية إخوتها، أو لاستقبال الزائرين، فهذا العمل أولى وأهم مما قامت به، على الرغم من أنه عمل صالح أيضًا.

– أن تقوم بتقييم نفسها من منظورها الخاص، فليس لها مرآة إلا نفسها أو هواها، فلا تستمع لآيات الله، ولا تمتثل لأوامره، ولا تستمع لنصائح الأخوات الملتزمات الصالحات، فترى ذلك تكبرًا عليها وتدخلًا فى أمورها الشخصية.

– ألا تحسن استغلال طاقاتها وإمكاناتها ونعم الله عليها، فهى كثيرة ومتنوعة، ولكل وقت نعمة، ولكل عمر طاقاته، فلها أن تغتنم الصحة قبل المرض، والشباب قبل الهرم، والغنى قبل الفقر، والحياة قبل الموت، فعليها أن تبادر بالأعمال الصالحة.

وهناك مواقف قد تجد فيها البنت ظالمة لغيرها من الناس، نذكر منها:

– الظلم النفسى أو المعنوى للغير، كأن تحدث نوعًا من الحزن أو الغضب، أو تنمية حقد أو حسد لدى الآخرين؛ فهى تفعل شيئًا خاصًّا بها، ولكن لا يرضى والديها، ويدخل الحزن على قلبيهما، فهنا تعتبر ظالمة لهما، فلا يصح أن تقول: إن هذا أمر خاص بها؛ فطاعة الوالدين واجبة فيما لا يغضب الله عنه.

– الظلم المادى؛ كأن تحدث ضررًا ماديًّا بأخذ حقوق للغير، أو إحداث ضرر فى أموال أو أشياء الغير.

– ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؛ كأن يكون لديها علم ودين، فتعيش بهذا العلم والدين لنفسها، ولا تعلمه لغيرها، ولا تنقله لهم.

– عدم الإحساس بالألم النفسى تجاه الغير، أو محاولة مساعدتهم لإدخال السرور عليهم، أو قضاء دين لهم، أو فك كربة عنهم.

– منع أو تأخير ما عليها من واجبات والتزامات تجاه الغير؛ من بر الوالدين، أو زيارة المريض، أو قبول الدعوة، أو تحمل أعباء من تحملوا عنها وساندوها وقت الشدة، وصلة الرحم، وإكرام الصديق والضيف.

– عدم الإحساس بالمسئولية تجاه الغير فى كل الأحوال، أو فى بعضها؛ بحجة أن كل إنسان مسئول عن عمله، ومثل هذا الإحساس ما يصنف البنت تحت صفة السلبية، أو صفة حب النفس، فلو أحست الأخت بمسئوليتها تجاه أخطاء الغير؛ لفتحت لنفسها أبوابًا للخير فى الدنيا وفى الآخرة، ولأصبحت حياتها كلها مليئة بالأعمال الصالحة؛ فهى دائمًا فى خير مع نفسها ومع الناس ومع ربها؛ لأنها تعمل من أجل إرضاء الله وكسب حبه ورضاه.

* أما أكبر الظلم وأعظمه، الذى لا يغفره رب العالمين، فهو الشرك بالله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ

لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان] .. لم يخف الرسول محمد ﷺ من أن يعبد المسلمون إلهًا آخر، ولكنه خاف عليهم من الشرك الأصغر، فقال محمد ﷺ: **«إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»** قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: **«الرياء»** يقول الله عز وجل يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم: **«اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون فى الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء»** [أخرجه أحمد، وهو حديث صحيح] (١).

وقال ﷺ: **«يقول الله عز وجل: من عمل لى عملًا أشرك فيه غيرى، فهو له كله، وأنا برىء، وأنا أغنى الأغنياء عن الشرك»**(٢). ويقول الله تعالى فى سورة الماعون: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾﴾ [الماعون].

لقد خاف الرسول ﷺ علينا من هذا الشرك؛ لأن الإنسان يعيش فى وسط الناس، فيشاهد أعمالهم ويشاهدون أعماله، وهو يضع فى اعتباره من حوله كما يضعه من حوله فى اعتبارهم.

وهناك نوازع الخوف من الناس، وحب الظهور، وحب المصلحة الذاتية، ورجاء قبول الناس له. ومثل هذه النوازع إذا وضعها الإنسان فى اعتباره وكانت ظاهرة فى أعماله، فكيف يرجو إخلاص العمل بعد ذلك لله العزيز الكريم.

إنها نوازع تحتاج إلى رياضة وتدريب نفسى مستمر ومحاسبة دائمة؛ للتخلص منها ليلًا ونهارًا، وللتجرد منها اليوم لا يأمن على نفسه التجرد منها غدًا، وهو ما يتطلب حياة إيمانية وارتباطًا ربانيًّا مستمرًّا وقويًّا بالذكر والاستغفار والدعاء وقراءة القرآن والتذكر والتدبر والإخلاص، وربما توضح الأمثال التالية بعض ما يقع فيه البنات من رياء فى سياق حياتهن الدنيا وأمور العبادات:

– أن تضع البنت فى اعتبارها أثناء تأدية الصلاة من حولها، فتطيل فى الصلاة عن المعتاد أو تكثر القراءة وتتقنها، أو تظهر نوعًا من الخشوع فى حركات الصلاة، التى لا تقوم بها وهى بمفردها، وترغب من وراء ذلك أشياء ممن حولها من الناس؛ كالمدح، أو اعتقاد بقوة إيمانها، أو انشغالها فى العبادة لله، أو قدرتها على حسن القراءة أو غير ذلك، فما يبدو فى الظاهر لا

---

(١) أحمد (٥/٤٢٩).

(٢) مسلم فى الزهد والرقائق (٢٩٨٥/٤٦).

تكون عليه فى الباطن، فتكون من الذين هم عن صلاتهم ساهون عن الاتصال بالله، والإخلاص له فى السر والعلن.

– أن تحب القيام بالعمل عند المدح والثناء والتقدير من الناس، وتقف عن هذا العمل إذا كان الأمر غير ذلك من الثناء والتقدير، وتقف موقف العداء والكراهية لمن ينصحونها، فتعتبر ذلك تدخلًا فى أمورها، أو إحباطًا لأعمالها وتعطيلًا لها، أو غيرة منهن، أو كرهًا لها.

أما إذا كانت ناصحة لغيرها فتقوم بهذا العمل؛ إرضاءً لنفسها ولتشبع لديها حب التفوق على الناس أو الظهور أو الاستعلاء عليهم، فتحس غيرها أن هذه ليست نصيحة، وإنما فضيحة أمام الناس، وإذا كان الأمر بين الاثنتين فتشعرها بأنها أفضل منها فى كثير من الأمور، ففى الحالتين ناصحة أو منصوحة، كان الرياء واضحًا.

– التغيير فى طريقة الكلام بالتصنع بالأدب أو خفض الصوت أو إظهار حلاوته من خلال الحديث فى التلفون أو أمام الضيوف أو أمام الزملاء فى العمل أو الدراسة أو الجيران، ولا تكون البنت على هذه الحال فى بيتها أو مع أخواتها أو والديها، فتسمعهم الصوت العالى أو أسوأ الألفاظ أو خشونة الحديث والصوت على غير ما تبدو به أمام الناس.

وكذلك الحال فى الملبس، فتكون فى بيتها غير منظمة وغير نظيفة، وعلى غير هذا الحال أمام الناس، وقد يكون الأمر عكس ذلك أيضًا؛ بغرض المراءاة، وتظهر ذلك فى بعض المجتمعات التى تظهر الالتزام بالتقشف، وهى على غير ذلك فى بيتها.

وكذلك الحال فى إظهار العمل أو بعضه عند الناس كأن تقوم البنت بتنظيف حجرة زميلتها إظهارًا لها بنظافتها وهى على غير ذلك فى بيتها.

– إذا كان ذلك فى أمور الدنيا من مأكل ومشرب وملبس وأعمال، فكيف يكون فى أمور العبادات والآخرة؟! فالمراء فيها كثير، والأمثلة لا تحصى، فهذه تذهب لتحج أو تعتمر كل عام؛ ليقال: إنها الحاجة فلانة، أو إنها قادرة على العمرة كل عام، فهى من مستوى اجتماعى ميسور أو عال.

وهذه تتصدق أمام صديقاتها وجيرانها؛ ليقال عنها: كريمة أو كثيرة الصدقة، وهذه تذهب للصلاة فى المسجد وحضور حلقات الذكر والدروس الدينية؛ ليقال عنها: إنها متدينة وملتزمة بالإسلام، وهذه تصوم فى يوم حفلة؛ لتظهر لصديقاتها أنها صوامة.

– كثير من الكلمات الدارجة بيننا تنم عن الرياء وتبعث عليه، مثل: «اعمل ده علشان

خاطر فلان»، «اعمل ده علشان فلان يحبك، اعمل ده لحسن فلان يزعل»، فهذه أمور فى ثقافتنا تشجع على الرياء وعدم الإخلاص فى العمل لوجه الله، فيضع الفرد فى اعتباره الغير أولًا وأخيرًا، ويسعد ويحزن بناء على ذلك.

ومثل هذه الأمثلة من أحوال الرياء التى تقع فيها البنات مرض وله علاج، فالبنت يجب أن تحس أولًا فى نفسها أن ما تفعله ليس خالصًا لله وأن أعمالها ترجو منها نفع الذات ورضاء الآخرين من العباد. فتبدأ فى التدريب على الإخلاص بالعمل والقول مع النفس ومع الناس، وأن تتحرى الصدق لله مع النفس والغير، وأن تكمل ما تقوم به من أعمال، سواء أخذت دعمًا ماديًّا أو معنويًّا كالجوائز أو الثناء أو لم تأخذ، فلا يهمها تقدير الناس ولا تفرح ولا تحزن بناء على ذلك، ولكن تجعل فرحها وحزنها لرضاء الله عنها أو سخطه عليها، وأن تحاول وتجتهد وتبذل قصارى جهدها فى أداء الأعمال كلها، وأن تكون على أحسن حال فى العزلة وفى الاجتماع بالناس، وفى أمورها العادية، وفى الظروف الطارئة أو غير العادية، وهذا يعنى أنها جميلة فى كل الأحوال، نظيفة فى كل الأوقات، منظمة مرتبة مهيئة للعمل الصالح فى جميع الظروف.

فهذه ثمار الإخلاص التى تجنيها البنات والأخوات الملتزمات بدين الإسلام القيم والحنيف. إذا كانت ثمار الدنيا يجنيها قاطفها، فإن ثمار المؤمنة الصالحة يجنيها قاطفها وجانيها وكل من حواليها؛ فتكون بذلك نافعة لنفسها ولغيرها بالعمل الصالح القيم والقدوة الصالحة المنيرة.

٧- الضلال واتباع الهوى:

يقول الله تعالى فى سورة المائدة: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ﴾[المائدة:٧٧].

الضلال: هو البعد عن الطريق المستقيم، وهو ضد الهدى والرشاد، والضالون هم الذين عرفوا الحق ولكنهم عموا عنه وجهلوه. يقول الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١٠٨﴾ [البقرة]، وفى سورة النساء يقول الله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ٦٠﴾[النساء].

فالضلال من صفات الشيطان وقدراته المفسدة، فهو عدو مضل مبين للإنسان، وتوضح الآيات فى سورة محمد أن الكفر من أسباب الضلال، يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ

أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾﴾[محمد]، وفى سورة البقرة يقول الله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾[البقرة].

فهذه الأمثال التى يضربها الله فى قرآنه الكريم - ما قل منها أو ما صغر منها وما كبر - لا يعقلها إلا العالمون، أما الفاسقون فلا تزيدهم إلا ضلالًا على ضلالهم؛ وذلك لخروجهم عن الطاعة والطريق المستقيم.

للأخوات المسلمات وقفة وتدبر للأعمال التى تصدر منهن ومن غيرهن:

- هناك فئة من البنات اللاتى عرفن الحق ومشين فيه، فكان لالتزامهن بالدين علامة وطريقة، ولكن تتعرض هذه الفئة إلى مغريات الدنيا من زينة أو مال أو منصب أو زوج، فتفضل تلك المغريات أو بعضها، فتجد نفسها أمام هذا الانزلاق، والبعد عن طريقها المستقيم، وكلما بعدت قلت الجاذبية للاستقامة، وزادت درجة الانحدار وسرعته، ويبدأ الشيطان فى عمله معهن، فالبيئة مناسبة تمامًا والظلام دامس، والهوى متبع والعقل غائب، وتأتى فئة الأخوات المسلمات الملتزمات ويتسائلن: ألم تكن معنا، ألم تكن أفضل منا، ألم تكن قدوة لنا؟

أسئلة واستفسارات، ولكن النتيجة هى إما أن تكون هذه الفئة الضالة قدوة سيئة ومنحرفة، ويراها البعض هكذا، أو أن يلتمس البعض لها العذر لهذا الانحدار، ويرجو لها الرجوع إلى الله، أو أن تجذب هذه الفئة الضالة والتى اتبعت أهواءها فئة أخرى من المسلمات الملتزمات اللاتى تعاطفن معها، فيبدآن فى اتباع أهوائهن إلى أن تصل الأخت الملتزمة إلى ما لا يحمد عقباه، وتنجرف قدماها فى الانحدار والعياذ بالله، ونسأل الله العافية والنجاة.

وربما قارئ هذه الكلمات يبعد عنه الأمثلة، ولكن عندما يدقق النظر يجد كم من الفتيات اللاتى دخلن الجامعة ملتزمات بالدين وبالأخلاق الفاضلة، ثم أغواهن أهواء قوم قد ضلوا، فبدأن فى اتباع سبيلهن - سبيل الشيطان.

فإذا بالفتاة لا تستطيع أن تفرق بين الحق والباطل، وبين الحلال والحرام، وتختلط بها الأمور، فتجد مثلًا مراكز التجميل التى تدخل فيها الفتاة بشكل وتخرج بشكل آخر، وسيلة من وسائل التجميل، وليس معصية لله ولرسوله، وتنسى لعنة الله على النامصة والمتنمصة والواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة، وتنسى وعد الشيطان لربه قبل أن ينزل مع آدم إلى الأرض، ليأمرن بنى آدم وليغيرن خلق الله. وترى البنات الاختلاط ضرورة، والنظر شيئًا لابد منه، وتغيير الصوت من الإتيكيت.

وهذه فئة أخرى تضل غيرها من الفتيات المقبلات على الزواج، واللاتى أنعم الله عليهن بالالتزام بدين الله وطاعته وطاعة رسوله محمد ﷺ، فتدفعهن الرغبة فى الزواج إلى اتباع أهواء قوم ضلوا، وهو ما يوقعهن فى الخطأ، أو البعد عن سواء السبيل.

فكم من الفتيات وقعن فريسة للجهل والضلال، وتزوجن سرًّا عرفيًّا بدون إذن الولى أو الإعلان، وتركها بعد ذلك الزوج بدون حتى الاعتراف بالزواج بها عرفيًّا، ولم تجد لها نصيرًا ولا معينًا.

وهناك فئة من الزوجات اللاتى اتبعن أهواء قوم ضلوا، فلم يقمن على أداء واجباتهن الزوجية أو الوالدية، فتعست مع زوجها وأولادها، فهذه زوجة تخرج لحضور مجالس الهوى، أو قضاء الوقت فى الملاهى أو النوادى، وبيتها فارغ من الحب والألفة والنظام والهدوء، وأولادها بين أصدقاء السوء ومحطات الهوى التلفزيونية، ولا يجدون غير التعسر فى العلم والدين.

وهذه زوجة تتبع خطوط الموضة العالمية، وأخبار جيرانها وزميلاتها: كيف يرتدين، وماذا يشترين، وأين يذهن للتجميل، فتأخذ مصروف البيت لتنفقه على هواها، ولتتبع سبيل هؤلاء الضالين، فلا تكون النتيجة غير الفقر والحاجة وعدم البركة وقلة الرزق وكثرة الخلاف والشكوى، وانتشار الفتنة فى المجتمع بعد الأسرة، التى غالبًا ما تفقدها ماديًّا ومعنويًّا، ليلجأ الزوج إلى حل الطلاق والانفصال وأخذ الأولاد، فتجد نفسها وهواها على غير ما تحب وترضى، فالجزاء من جنس العمل.

واتباع أهواء قوم قد ضلوا أيضًا على شاشات التلفزيون والسينما والمسرح والملاهى والنوادى، التى ينتشر فيها الرذائل والفحش. فلا تحسبن الفتاة والأخت المسلمة أن الأمر هو مجرد تسلية وقضاء الوقت والإمتاع للنفس، ولكن الأمر أكبر من ذلك بكثير .. إنه تأثير وتأثر، وضلال وتضليل، وغواية وإغواء.

فالجرائم التى تنتشر فى المجتمع؛ من زنا وسرقة وقتل وحوادث سيارات وغيرها، وسوء الأخلاق؛ من غش وخداع وكذب وغيبة وغيرها، وراءها بشكل مباشر وغير مباشر ما يشاهده ويسمعه الجمهور من وسائل الإعلام حوله.

ألم يصنع الأفلام الأجنبية الصادرة من هوليوود قوم ضالون؟!

ألم يحتوِ مضمونها على أرذل القيم والأخلاق؟!

ألم توسع فى دائرة الفسق والضلال، وتظهرها كأن المجتمع كله هكذا؟!

المؤمن يتدبر ويشاهد ويسمع، ولكنه يزداد إيمانًا والأخوات المسلمات لا يقفنَّ ولا يتدبرنَّ الأعمال فقط، ولكن عليهن أعباء أخرى، نذكر منها:

- تقوية الإيمان وتجديدة دائمًا بالأعمال الصالحة، فلا تترك لهواها مكانًا يسكن فيه الشيطان أو حب الضالين أو الغاوين؛ فالحب معنى سامٍ فى قلب المسلمة المؤمنة، أوسع قدرًا ومنزلة، وأرقى إحساسًا، وأعظم وأجل مكانة، إنه حبٌ من خلق الحب وأودعه فى القلوب، حب من أحب الله، حب كل عمل يقربها إلى الله.

هكذا أحبت المسلمة المؤمنة الخالق والمخلوق، وعملت لدينها ودنياها، فأين الحب الذى يدعو له المطربون والمطربات واللاهون واللاهيات من حب الشهوة وحب النفس وحب المال وحب الدنيا وما فيها؟! أين هذا الحب الدنيوى الرخيص من حب الخالق نور السموات والأرض؟!

- بعد النظر وحسن التفكير والقدرة على التفرقة بين الصالح والطالح والحلال والحرام، فلا تغويها الغاويات؛ فهى سريعة الإدراك، ولها قدرة صائبة على فهم الأمور حولها.

- أن تحدد جيدًا كيف ومتى يمكن أن تستفيد من وسائل الإعلام حولها، ففيها ما ينفع وما يضر، وأن تعين غيرها على ذلك، وأن تستعين بغيرها على ذلك.

٨- الاستكبار واتباع الهوى:

يقول تبارك وتعالى فى سورة البقرة: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [البقرة:٨٧]. فالاستكبار امتناع عن قبول الحق معاندة، وهى من صفات إبليس اللعين، يقول الله - تبارك وتعالى - فى سورة الأعراف: ﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾[الأعراف:١٣]، وفى سورة البقرة: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾[البقرة]، وعاقب الله المتكبرين فى الأرض، بأن أبعدهم عن الهُدى والنور، يقول تبارك وتعالى فى سورة الأعراف: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف:١٤٦]. وجعل لهم العذاب الأليم فى الآخرة، فى سورة النساء: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[النساء:١٧٣].

والكبر من موانع دخول الجنة، حتى ولو كان صغيرًا، يقول محمد ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر**»، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله

حسنًا، قال: «**إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بَطَرُ الحق وغمطُ الناس**»[١] وغمط الناس: احتقارهم.

وللأخوات فى ذلك ضوء أحمر، فالكبر من مداخل الشيطان؛ فهى صفة من صفاته، وسلاح من أسلحته ضد الحق والخير والرحمة. فهذه مواقف حمراء تؤخذ على أصحاب العلم أو الدين، وربما وقعت فيها كثير من الأخوات.

- عند حضور مجلس من مجالس العلم، يكون فيه الحوار حرًّا بين الأطراف، فإذا بصاحبة العلم تظهر ما لديها من علم وفقه، ويصيبها كبر على الآخرين، فإذا بها ترفض آراء الآخرين أو طريقة حياتهم، وتنسى أن لكلٍّ ظروفه، وأن الدين يسر، وأن الاختلاف فى الفقه رحمة وليس شقاقًا. فتسكت غيرها لتتحدث هى، فهل هذا غير الكبر، وهو احتقار الناس والتقليل من شأنهم.

- التكلف فى الملبس، والتى لا يكون المكان أو المناسبة أهلًا لذلك، فربما يدفع ذلك إلى لفت انتباه الأخريات، وتقليل درجة تركيزهن فى الدرس أو اللقاء، وربما أخرج أخريات لا يستطعن ارتداء مثل هذه الثياب، وهى لا تعنى التقليل من أهمية احترام الأخت المسلمة فى مظهرها وباطنها؛ فهى صورة وقدوة لغيرها، ولكن التكلف يظهر كبرًا من الصفات.

- التكلف فى طريقة الحياة أو المكان أو الطعام بين الأخوات المسلمات واللاتى غالبا ما يكون بينهن مستويات اجتماعية واقتصادية مختلفة وربما متفاوتة.

- التفاخر بين الأخوات بأعمالهن فى طريق الدعوة، وقدرتهن على الإقناع، أو مدى تحملهن نوعًا من الأعباء - المادية أو المعنوية - ويكون لهذا التفاخر صفة الكبر والتقليل من صفات الأخريات وأعمالهن فى مجال الدعوة. ومثل التى تفتخر أن زوجها أو أخاها أو أباها ممن كانوا من رجال الدعوة الكبار، وممن تحملوا التعذيب أو القتل أو التشريد أو الإهانات أو الطرد من العمل، وهذه كثيرة بين الأخوات، وربما تصف نفسها بأعمال غيرها، فتظهر كبرًا فى صفاتها بين الأخوات.

- دواء الكبر هو (التواضع)، وإذا كان الكبر فى أمر من أمور الحياة، فعلاجه التواضع فى جميع أمور الحياة، وليس فى هذا الأمر وحده؛ فهو تغيير فى أمور حياة الأخت. فإذا كان الكبر فى الملبس، فلتبدأ بالملبس أيضًا، بالتواضع فيه، ومراعاة مناسبته لملابس الأخريات فى المكان

---

(١) مسلم فى الإيمان (٩١/١٤٧).

والزمان المناسبين، وإذا كان بالافتخار بالنفس أو الأهل، فلا يكون الافتخار بالغير وأعمالهم وسيرهم، ومن ليس لهم صلة بالنفس أو الأهل.

– وإذا كان التكبر بالعلم، فلتضع غيرها فى منزلة أعلى منها؛ فكل عالم له أعلم منه، ولتنظر فى سير السلف الصالح.

– إن شراء أو اقتناء العديد من المكملات غير الضرورية – سواء الحاجيات الشخصية، أو داخل المنازل، أو داخل محل العمل – يفتح أبوابا من أبواب الشيطان ليدخل، مما يوقع متبعه فيه بلا ريب، فتجد البنت نفسها تواقة لشراء إكسسوارات أو ملابس أو غيرها، فيبدأ اهتمامها ينصب فى هذه الأمور، والتى تحمل نفسها وأهلها فوق طاقتهم، والتى تصرف العقل والنفس عن الأمور الأكثر ضرورة وأهمية، ولكن ماذا علينا لو أشبعنا ضرورياتنا، ثم بحثنا لنكمل ونساعد ونشبع الاحتياجات الضرورية لغيرنا من الأخوات والأقارب؟!، فتتحول نظرة الفقير للغنى من نظرة حقد وحسد إلى نظرة حب وألفة وتواد وتراحم بين المسلمات، ولكن مثل هذه الأمور ليست بالهينة على البنات خاصة، فهى ترتبط بمظهرهن وصورتهن وشخصياتهن أمام الناس، وهى تحتاج إلى تدريب ورياضة نفسية مستمرة وقوية لتغيير نظرتهن للأشياء والأمور، ومعتقداتهن عن الجمال أو الأناقة والمظهر الحسن، وهذه الرياضة هى التى تحول صفة الكبر لدى الفتيات إلى صفة الاحترام والوقار والأدب وحب الغير والخير لهم كحبه لنفسها. وهى رياضة ربانية بالأساس، فكلما كانت التوجهات نحو إرضاء الله عز وجل، كلما قل الاهتمام بالنفس وأهوائها ما يرضيها وما يشبعها، فهناك ما هو أكبر، وأعظم وأحق أن يرضى، ويتبع أوامره، ويجتنب نواهيه.

– إذا كان التكلف فى طريقة الحياة كلها؛ مما أظهر كبرًا فى الصفات الأخلاقية، فالأمر هنا يحتاج إلى بذل مجهود عقلى ومادى ونفسى.

فالعقلى: بالتدبر فى أحوال الغير – غير القادرين على الحياة – وعلى أبسط ما فيها، والتدبر فى الموت وما فيه من عبر، وكيف يترك الصغير والكبير والمريض والصحيح والقوى والضعيف الحياة بمجرد أن يأتى الأجل.

والمادى: بالتخلص من الأشياء والحاجات التى لا تستخدمها الأخت، وذلك بإهدائها لمن يستحق، والبدء بالأقربين، وأن يكون ذلك من قبيل صلة الرحم والحب فى الله والتقرب إليه، ويتم العمل بالبدء فى الأشياء غير الضرورية وغير المستخدمة بشكل دائم، ثم يتدرج

بارتفاع درجة الإيمان إلى العطاء من الأشياء التى تستخدم، والتى تفضلها الأخت وتعتز بها، وهى فى هذه الحالة ترتفع بإيمانياتها وأخلاقها لتسمو إلى درجات الإيثار.

وعندما تبدأ برياضة نفسها لتغيير نظام الحياة، فإنها هنا بصدد الوقوف أمام الأهواء والنوازع والرغبات النفسية التى لا حصر لها ولا نهاية؛ فلا يملأ عين ابن آدم إلا التراب، ويقول الرسول ﷺ: **«الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله»** (١)، فحساب النفس على أعمالها يكبح جماحها ويقيد هواها.

– أما التفاخر والتكبر على الغير بأعمال الغير، فإن لنا فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة؛ فقد كانت تعاملاته مع أقرب الناس إليه تعلمهم أنه لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، وأنه لا يغنى أحد عن أحد شيئًا، فيوم القيامة لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. قال ﷺ لفاطمة وصفية: **«إنى لا أغنى عنكما من الله شيئًا»** [أخرجه مسلم](٢).

٩ - الجهل واتباع الهوى:

يقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾﴾[الأنعام].

فمن يتبع هواه لا يجد لعقله مكانًا للعمل، فما يتفق مع العقل ربما يرفضه الهوى، إذا لم يكن الهوى تبعًا لما أنزل الله ورسوله، وقد قال ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به»**(٣) فهنا الهوى ميل النفس إلى الخير والفضيلة والقيم الخلقية، وهى التى ربما يرفضها العقل فى بعض الأحيان، فما الذى يجعل الأخت تؤثر أختها على نفسها، فتعطيها كل ما تملك وهى فى حاجة إليه؟! إنه الإيثار، والذى أصبح فى هذا الزمان نوعًا من الحمق وقلة العقل.

فهذا الهوى قائم على العلم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، أما ما لم يقم على العلم الصحيح فلا مجال لاتباعه، والخوف منه ضرورى، ولا ثمرة له إلا الضلال والخيبة. وإذا قامت الأخت المسلمة بإمعان النظر فى نفسها وما حولها، فستجد كيف تضل النفس غيرها، وكيف يضل بعض الناس بعضًا بجهلهم وبعدهم عن نور الله وهداه.

---

(١) الترمذى فى صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٥٩)، وقال: «حديث حسن»، وابن ماجه فى الزهد (٤٢٦٠)، وضعفه الألبانى.

(٢) مسلم فى الإيمان (٢٠٦/٣٥١).

(٣) السنة لابن أبى عاصم (١٢/١) (١٥)، وقال الحافظ ابن حجر فى الفتح (٢٨٩/١٣): «رجاله ثقات، وقد صححه النووى فى آخر الأربعين»، وضعفه الشيخ الألبانى.

– عندما تتسرع الأخت بإلقاء الحكم على غيرها بمجرد سماع شكوى من منافسة لها أو غريمة، فهذا اتباع للهوى بغير علم.

– عندما تقوم المسئولة فى مكانها – سواء أكانت أمًّا أو أختًا أو معلمة أو طالبة مسئولة عن غيرها – بإصدار أى أمر أو تعليمات أو عمل منهج، أو القيام بتدريب على مهارة معينة، ويكون هذا العمل غير قائم على العلم، فهى هنا على طريق الذين يضلون بأهوائهم، ربما يجد البعض أن هذا ظلم لهن، وربما يؤدى هذا الفكر إلى إحجام البعض عن العمل بحجة عدم العلم، ولكن لا يقصد من هذا ترك العمل بكامله، ولكن المقصود هو دوام البحث والعمل والتعلم؛ من أجل عدم الوقوع فى اتباع الهوى، فتقوم بالعمل فيما تعلم، وتجتهد بعد ذلك فى العلم فيما لا تعلم، والاستعانة بغيرها ممن هم أعلم منها.

– عندما تقوم البنات بإعطاء النصائح لزميلاتهن لكل صغيرة وكبيرة، فى المدرسة، أو فى الكلية، أو فى النادى، أو حتى فى المسجد، أو عند الاجتماعات بشكل عام، وتكون هذه النصائح من وجهة نظر الفتاة، أو نتيجة لتجربة مرت بها، أو نتيجة لقراءة عابرة عن موضوع ما، أو غير ذلك مما لم يقم على العلم الصحيح، فهى هنا تضل غيرها بجهلها.

والمشكلة هنا أن الإثم واقع عليها؛ فهى تتحمل وزر من عمل مثلها، أو اتبع سنتها القائمة على الجهل بالأمور، فإذا حسبت الفتيات ذلك جيدًا، ربما تمسك عليها لسانها، ولا تتعجل بالنصيحة، سواء طلبت منها أو تطوعت هى بها.

– إن اتباع الهوى أسهل بكثير وألذ وألطف من البحث والعلم والدراسة، فالأول بلا مجهود وليس له ضابط، والثانى شاق وله ضوابط، وربما هذا من أسباب أن كثيرًا من الناس يفضلون الجهل على العلم، ويضلون غيرهم بأهوائهم. ولكن عندما تعلم البنات اختلاف الثمرة لكل اتجاه، ستختار العلم، فلا يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون، فستجد كيف يعلو فضلها بين الناس وبين الخلق جميعًا، فالملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم، والنملة فى جحرها والحوت فى البحر يستغفرون لطالب العلم. ففضلها فى الأرض وفى الجحور وتحت الماء وفوق السماء ويوم العرض على الله – عز وجل – فأى فضل أوسع من ذلك وأبقى؟!

❋❋❋